دار الشهيد
نعمان طحاينة
للنشر والتوزيع

رجال في زمن العزة

لكوكبة مضيئة من الشهداء القادة لحركة الجهاد الإسلامي
في مخيم نور شمس بمحافظة طولكرم

إعداد وتوثيق
الأسير المجاهد: أنور عمر عليان
سجن "ريمون" الصحراوي

رجال في زمن العزة

لكوكبة مضيئة من الشهداء القادة لحركة الجهاد الإسلامي
في مخيم نور شمس بمحافظة طولكرم

رجال في زمن العزة

لكوكبة مضيئة من الشهداء القادة لحركة الجهاد الإسلامي
في مخيم نور شمس بمحافظة طولكرم

إعداد وتوثيق

الأسير المجاهد: أنور عمر عليان

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى

1439هـ - 2017م

رام الله–فلسطين

تمت الفهرسة في مكتبة وزارة الثقافة الفلسطينية

رقم الإيداع **2017/717**

دار الشهيد
نعمان طحاينة
للنشر والتوزيع

Email: Dar.Nomaan@Gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿169﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿170﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

صدق الله العظيم

[آل عمران: 169-171]

استشهد الماء ولم يزل يقاتل النّدى
استشهد الصّوت ولم يزل يقاتل الصّدى
وأنت بين الماء والندى
وأنت بين الصّوت والصّدى
فراشةٌ تطير حتّى آخر المدى

(الشاعر/ معين بسيسو)

الإهداء

- إلى من دفعن بفلذات أكبادهن وقودًا للدفاع عن هذا الوطن المستباح، وأَبَيْن إلا أن يدفعن من دماء فلذات أكبادهن ريًّا لتراب الوطن المتعطش إلى دماء الشهداء والحنون على أجساد الشهداء.

- إليهن أمهات الشهداء ومعلمات الصبر على طول أوطاننا الإسلامية، والأم الفلسطينية بشكل خاص.

- إلى أم الشهيد الفارس أشرف البردويل.

- إلى أم الشهيد الفارس خالد حسين (أبو صقر).

- إلى مخيم نور شمس الأبي، صانع هؤلاء الرجال، الشذي برائحة البرتقال المعطرة بأريج الليمون الذي ضرب أروع الأمثلة في التضحية والفداء.

- إلى أرواح الشهيدين القائدين لسرايا القدس، الشهيد القائد أنور عوني عبد الغني وشقيقه الشهيد القائد شفيق عوني عبد الغني رحمهما الله.

- إلى روح الشهيد القائد والمعلم الدكتور فتحي الشقاقي رحمه الله، وإلى روح الشهيد القائد أسعد دقة رحمه الله، وإلى أرواح كل شهداء فلسطين.

- إلى قرة العين ومهجة القلب والديّ الحنونين.

- إلى روح شقيقي ونور عيوني الشهيد البطل أحمد عمر عليان.

- إلى أميرة الصبر وصاحبة الوفاء، زوجتي الغالية آمنة عوني عبد الغني.

يحكون في بلادنا
يحكون في شجن
عن صاحبي الذي مضى
وعاد في كفن

(الشاعر/ محمود درويش)

مقدمة الناشر

شهداؤنا وعد الله على أرض فلسطين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحديث عن الشهداء لا يحسنه إلا من كانوا أقرب لهم، ورافقوهم وسلكوا دربهم، وصاحبوهم في قتالهم ومواجهتهم للعدو، ويحسنه أكثر من شهد ارتقاءهم لعلياء المجد والخلود، وهذا الحديث هو فن لا يبدع في إتقانه إلا من أصبح وقد أمضى ليلته في ساحات الرباط، واستظل بحمم القذائف وانتعش بريح البارود المتطاير، وأمضى وقته في التخطيط والتدبير للنيل من عدو الله وعدوه.

وهذا كتاب الشهداء يرى النور بحمد الله وتوفيقه؛ بعد أن أبدع صاحبه الأخ **الأسير المجاهد/ أنور عليان** في اختيار ألفاظه ومصطلحاته بعناية، وارتقى في وصفه للأحداث التي صاحبت استشهاد أبطال سرايا القدس "الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي" في مخيم نور شمس بمحافظة طولكرم؛ ليكون وصفًا أقرب ما يكون إلى الصورة، وهذا أمر غير مستغرب ولا مستبعد من المؤلف الذي عاش التجربة، وهو ضمن الأمانة والوصية التي تركها الشهداء فينا (أسرانا الأبطال).

وقد قَصَرَ الأخ **الأسير المجاهد/ أنور عليان** في كتابه هذا الحديث على كوكبة من شهداء ذلك المخيم العتي على الانكسار مخيم البطولة والشهادة، وهم الشهداء الفرسان **(أشرف البردويل، فلاح مشارقة، وخالد حسين)**؛ ثلاثة أبطال من سرايا القدس، واجهوا العدو من مسافات قصيرة، واشتبكوا معه ونالوا منه، وتحققت أمانيُّهم بارتقائهم شهداء، وتناول الكتاب حياتهم وكيف التحقوا بركب الجهاد وكانوا طليعة المجاهدين، وكيف فهموا نداء الشهيد المعلم فتحي الشقاقي تقديم الواجب رغم قلة الإمكان، فلم يعد هناك أي مبرر لكي تخفت شرارة المواجهة ونار الجحيم على

بني صهيون في فلسطين، فلبوا النداء وحملوا الراية ونحسبهم قدموا لله ما يرضيه عنهم، فكانوا نعم المجاهدين والقادة العظام، حتى وصل بهم قطار الجهاد لمحطة الاستشهاد، والتي طالما تمنوها منذ التحاقهم بركب سرايا القدس.

وصاحب هذا الكتاب **الأسير المجاهد/ أنور عليان**، عايش شهداء سرايا القدس في مخيم نور شمس عن قرب، واطلع على تفاصيل حياتهم وجهادهم، وتنقل معهم في أزقة المخيم، وشاركهم في عمليات السرايا الجهادية، وعاش حياة المقاومة والمطاردة في كنفهم، ولطالما استظل بظلهم فكان قريبًا منهم، ولعل هذا ما أعطى الكتاب مصداقيةً ووصفًا نوعيًا قل نظيره، وهو أقرب ما يكون للواقع، وقد كان بين المؤلف حفظه الله وبين الشهادة درجة تكاد لا ترى بالعين المجردة، لولا أن قدر الله سبق، واختاره المولى عز وجل في عداد الأسرى، الذين هم رمز عزتنا وصدق ثوابتنا وصائنو كرامتنا.

وقد كتب **الأسير المجاهد/ أنور عليان** هذا الكتاب في مرحلة سابقة، وهو داخل أسره في العام 2011م، ولا يَخفى على أحد الظروف الصعبة التي يعاني منها أسرانا الأبطال في إخراج جهد فكرهم ومؤلفاتهم لترى النور، إلى أن شاء المولى عز وجل وسخَّر لهذا العمل إخوة قدَّروا قيمته، وشعروا بحس المسئولية تجاه الشهداء، وأن أقل الواجب لمن قدموا أرواحهم، هو أن نستفيد من سيرهم وذكرهم؛ حتى يعلم مجاهدونا اليوم كيف كان أسلافهم ولعلهم خير خلف لخير سلف.

إن هذا الكتاب وهو يتحدث عن حياة الشهداء الثلاثة؛ يقدم نموذجًا عمليًا لفضل الشهداء ورقيُّهم وارتقائهم؛ ويدلل بأن نسل خالد بن الوليد وأسامة بن زيد لم يُبتر بعد ولن يبتر بوعد الله تبارك وتعالى، وأن هذه الأمة خرجت وتخرج وستخرج من يسوء وجه أعدائها، ويسومهم سوء العذاب بفضل الله ورضوانه.

وختامًا فإن هذا الكتاب يحمل دعوة صريحة لكل حر وأبي، يحمل في مخزون ذاكرته شيئًا عن شهدائنا الأبطال؛ أن يقدمه في توثيق يسمح للأجيال المعاصرة والقادمة أن تطلع عليه، وتفهم المضمون والمحتوى، وتأخذ العبرة؛ لتكر الكرة على هذا العدو المجرم حتى النصر والتحرير.

الناشر

المقدمة

الشهداء الأبرار اختيار السماء

قال تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: 19]

لا نعرف مقام الشهيد حتى نصبح شهداء بينهم، ولا نعرف مقام الأم إلا إذا كنا أمهات، فكيف نعرف عن أم الشهيد، فكما خلق الشهيد ليكون شهيدًا خلقت أم الشهيد لتكون أم الشهيد.

لا تملك أقلامنا للحديث عنهم إلا التوقف عن الحديث عند مقامهم، فكيف أن تعرف أنهم اندفعوا نحو هذا المقام وتركونا رغم أننا أعزاء عليهم؟!

لقد توقفت قدرة الكون الفسيح والأفق متجدد الاتساع عن استيعابهم واحتواء أرواحهم ففاضت إلى الأعلى. من ذلك إلى تحت العرش أو ربما لم يندفعوا نحوها بل اختارتهم السماء لهذا المقام من دوننا، فكيف سنتحدث عن هذه المقامات ونحن ما زلنا لم ننضج لأن نصلح لهذا المقام؟!

هذه مقامات نحن فقط نكتب عنها ولا نعيشها؛ لأننا نعرف فقط القليل عن أصحابها عندما كانوا بيننا، وعندما لم نكن ندرك أنهم موعودون بهذه المقامات وقبل أن يتركونا ويرتقوا.

وهكذا نسير في الحياة ولا ندري من منا يتنكر يومًا لدمائهم ويرتكس عن هذه الطريق، ومن منا ما زال يصنع على عين الله ليوم مشهود يصبح فيه من أهل الشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم.

إننا عندما نكتب عنهم نحاول أن نقرب أنفسنا لهم علهم يتذكروننا بشفاعة عند الله، ورغم ذلك أحسست بسياط اللوم والتعنيف وزلزلة النفس تشدني لأن أفعل شيئًا بسيطًا من حياة الشهداء

الذين عاصرتهم في المخيم، ولذلك ابتدأت بالكتابة في هذا الكتاب عن الشهداء الفرسان الثلاثة **أشرف محمود البردويل وفلاح حسن مشارقة وخالد رايق حسين**، الذين أضاءوا لنا مصابيح الظلام عندما عبدوا لنا بدمائهم الزكية مشوارًا آخر في الطريق لتحرير أرضنا الحبيبة.

هؤلاء الشهداء الثلاثة عاشرتهم وعشت تجربة استشهادهم، وهي المحطات التي سأتحدث عنها رغم أن هناك محطات كثيرة من حياتهم وجهادهم يمكن الكتابة عنها لاحقًا.

وقبل الحديث عنهم لابد من الحديث عن مخيم نور شمس الذي خرج هؤلاء الأبطال، ودوره في الجهاد والمقاومة.

كما أنتهز الفرصة لأقدم شكري الخالص وتقديري لإخواني الذين عاشوا معي فترات طويلة في الأسر، الأخ المجاهد المقدسي عنان نجيب (أبو عيسى) والأخ المجاهد عبد الرحمن شهاب، والأخ الأسير الحنون أسامة حروب على مساهمتهم ومساندتهم لي لإنجاز هذا العمل المبارك.

أخوكم الأسير/ أنور عمر عليان
سجن "ريمون" الصحراوي
2011/09/10م

مخيم نور شمس

تاريخه ودوره الجهادي

عُرف مخيم نور شمس بهذا الاسم نسبة إلى معتقل نور شمس الذي استخدمه الإنجليز عام 1919م عقب احتلالهم لفلسطين وذلك لسجن أصحاب الأحكام القاسية ممن حُكم عليهم بالإعدام أو السجن لمدى الحياة، ومن المرجح أن المعتقل استمد تسميته نور شمس من خلال موضعه المكشوف طوال النهار لأشعة الشمس والتي كانت تلهب أجسام المعتقلين في موسم الحر، وبعد جلاء الإنجليز عن البلاد اعتمدت التسمية في السجلات الرسمية وغير الرسمية.

يرجع تاريخ إنشاء مخيم نور شمس إلى عام 1951م على وجه التحديد أي بعد مرور ثلاث سنوات على نكبة فلسطين عام 1948م وذلك في أعقاب العاصفة الثلجية التي ألمت بالبلاد حيث أطاحت بمخيم اللاجئين في سهل جنزور بالقرب من مدينة جنين والذي كان يلوذ بخيامه منذ عام 1949م الأمر الذي حمل وكالة الغوث الدولية على نقلة إلى موقع آخر والذي كان مخيم نور شمس حيث تم حشدهم بالشريط السهلي المحاذي لخط سكة الحديد الفاصلة بين القسم الشمالي والجنوبي إلى حين إعداد وتنظيم السكن.

يقع المخيم إلى الشرق من مدينة طولكرم على الخط الرئيسي الذي يصل المدينة بمدينة نابلس، حيث يبعد عنها حوالي ثلاثة كيلومترات، ويبعد المخيم عن البحر الأبيض المتوسط إلى الشرق 19 كيلومترًا. وهو مكون من قسمين شمالي وجنوبي، يفصل بين جزئيه سهل ضيق عرضه 300 م، يمر من هذا السهل وادي اسكندرونة، وهذه المنطقة تعتبر جغرافيًا ضمن السهل الساحلي الفلسطيني لاتصالها معه من جهة ولعدم ارتفاعها عن مستوى سطح البحر 150م.

تعود جذور معظم سكانه البالغ عددهم زهاء 9000 نسمة إلى بلدات وقرى حيفا التي هُجِّروا منها في نكبة عام 1948م لتكون شاهدًا حيًا على الجريمة الكبرى بحق الأرض والشعب والهوية الفلسطينية التي اشتركت بها القوى العظمى من بريطانيا وفرنسا والحركة الصهيونية من أجل إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين.

تقوم هيئة الأمم المتحدة بالإشراف على المخيم عبر وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين وتقدم له سلسلة من الخدمات التعليمية والاجتماعية.

ويعتبر مخيم نور شمس رائدًا في العمل الجهادي ورمزًا للبطولة وقمة للتحدي والصمود خلال الانتفاضة الأولى والثانية المباركتين، فقد تميز برصيد هائل وضخم في التضحية والفداء ولم يتوان عن تقديم قوافل الشهداء والأسرى والجرحى في المسيرة النضالية للشعب الفلسطيني في جهاده ضد الاحتلال الصهيوني. وقد كان لهذا المخيم نصيب من عطاء الأرض التي أقيم عليها والتي رويت بدماء الشهداء قبل نشوئه، فقد أكدت الأرض لهذا المخيم أنها لم ترو بعد بدماء الشهداء الذين سبقوا

ما دامت الأرض تطلب وما زال الوطن مستباحًا، حيث كان لهذا المخيم الشريف العظيم أن تفجرت في نفس المكان المقام عليه قبل إنشائه الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936م بقيادة **الشيخ المجاهد الشهيد فرحان السعدي** التلميذ النجيب **للشيخ المجاهد عز الدين القسام**، فكانت شرارة هذه الثورة بعملية جهادية نوعية نفذت هناك وأسفرت عن مصرع ثلاثة صهاينة وذلك بتاريخ 1936/04/15م، معلنة للاحتلال الانجليزي وللمستوطنين اليهود أن دم **الشهيد المجاهد عز الدين القسام** ما ضاع هدرًا، وأن تلامذة القسام على العهد والوعد الصادق.

ولهذا المخيم بصمة شرف في ذكرى غالية من ذكريات الشعب الفلسطيني وهي ذكرى يوم الأرض الخالد والذي تفجرت شرارته بتاريخ 1976/03/30م في أراضينا المحتلة عام 1948م ردًا على سياسة الاحتلال الصهيوني في نهب ما تبقى من أرض فلسطين والتضييق على إخواننا في الداخل المحتل، فكان المخيم سباقًا للاستجابة لهذا العطش فلم يبخل بالدم حيث روى الشهيد البطل رأفت الزهيري بدمه الطاهر أرض مدينة الطيبة مؤكدًا باستشهاده على وحدة الوطن الفلسطيني الواحد بما احتل منه عام 1948م وما احتل عام 1967م وعلى وحدة الشعب الفلسطيني الواحد على ضفتي الخط الأخضر الوهمي.

وفي الانتفاضة الأولى المباركة والتي كان العامل الأساسي لشرارتها معركة الشجاعية بعدما تقدم فرسان الجهاد الإسلامي الذين فروا من سجن غزة المركزي وآثروا البقاء على أرض الوطن وقدموا الواجب على الإمكان، فصالوا وجالوا في أرض غزة الباسلة حتى ارتقوا إلى العُلا في شهر أكتوبر (تشرين أول) من العام 1987م بالإضافة إلى مجاهدين آخرين، وهم الشهداء الأبطال **مصباح الصوري، ومحمد الجمل، وزهدي قريقع، وسامي الشيخ خليل، وأحمد حلس**، فكانوا الشرارة التي فجرت الانتفاضة الأولى.

وكان لمخيم نور شمس الحضور القوي والفعال في تأجيج الانتفاضة الأولى، فكان سباقاً للاستجابة لنداء الواجب والشهادة، نداء الأرض العطشى لدماء الشهداء فقدم خلالها عددًا كبيرًا من الشهداء والأسرى والجرحى، **فكان من الشهداء الأبرار:**

1. الشهيد البطل: **ناصر أحمد الجندي** والذي استشهد بتاريخ 1988/09/25م.
2. الشهيد البطل: **جهاد حسين زغدد** والذي استشهد بتاريخ 1991/03/24م.
3. الشهيد البطل: **إياد نمر الصباح** والذي استشهد بتاريخ 1991/07/26م.
4. الشهيد البطل: **عبد القادر يوسف الشبراوي** والذي استشهد بتاريخ 1992/04/09م.
5. الشهيد البطل: **مصطفى عبد الأشقر** والذي استشهد بتاريخ 1992/09/23م.
6. الشهيد البطل: **تيسير جمعة أبو غليون** والذي استشهد بتاريخ 1993/03/08م.
7. الشهيد البطل: **ناصر علي أبو عيشة** والذي استشهد بتاريخ 1993/03/15م.

ومع تفجر انتفاضة الأقصى المباركة بتاريخ 2000/09/28م على إثر الزيارة الاستفزازية التي قام بها رئيس وزراء الكيان الصهيوني آنذاك "أرئيل شارون" وتدنيسه للمسجد الأقصى المبارك في تحد سافر لمشاعر المسلمين، وبينما كانت آلة الحرب الصهيونية تمعن في القتل والدمار بحق شعبنا الفلسطيني الأعزل في مدنه وقراه ومخيماته؛ سطر مخيم نور شمس ملحمة بطولية تمثلت في الرد المزلزل الأول على جرائم الاحتلال بعملية بطولية جريئة نفذها الأسد الهصور الشهيد القسامي أحمد عمر عليان في عمق الكيان الصهيوني في مدينة (أم خالد) والمسماة "نتانيا" في يوم عرفة بتاريخ 2001/03/04م، وأسفرت تلك العملية البطولية عن مصرع خمسة صهاينة وإصابة العشرات منهم بجراح متفاوتة، حيث تعتبر هذه العملية الاستشهادية النوعية الأولى من قبل جميع الأجنحة العسكرية للفصائل الفلسطينية في منطقة طولكرم خلال انتفاضة الأقصى المباركة.

أما الرد المزلزل الثاني فتمثل بتفجير سيارة مفخخة عن بعد في مدينة نتانيا أيضًا أرسلها **المجاهدان البطلان الأسيران عمار قزمور وبهاء الشبراوي** وهما من سرايا القدس الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي، وأوقعت عشرات الإصابات في صفوف الصهاينة وذلك في 2001/05/30م، وقد جاءت هذه العملية البطولية ردًا على اغتيال أحد قادة ومؤسسي سرايا القدس **الشهيد القائد إياد الحردان** من بلدة عرابة بمحافظة جنين وذلك بتاريخ 2001/04/05م، كما انطلقت من هذا المخيم الصامد عمليات جريئة ونوعية ومتنوعة تراوحت بين تفجير عبوات ناسفة وإطلاق نار على أهداف للعدو الصهيوني نفذتها مختلف الأجنحة العسكرية لفصائل المقاومة الفلسطينية وخاصة سرايا القدس وكتائب القسام وكتائب شهداء الأقصى، وقدم عشرات من الشهداء والأسرى والجرحى.

هكذا تميز مخيم نور شمس بسيرته العطرة، والقدرة على بناء الرجال وضرب أروع الأمثلة في البطولة والفداء.

الفارس الأول

الشهيد القائد: أشرف محمود البردويل

قمة في التحدي ورمز للبطولة

المولد والنشأة

أبصر الشهيد الفارس **أشرف محمود عبد الرحيم البردويل** النور في مخيم نور شمس بمحافظة طولكرم بتاريخ 1975/07/18م. وينتمي لأسرة لها تاريخ مشرق في الجهاد والمقاومة، وقد ضربت أروع الأمثلة في جودة الصبر فقدمت شهيدين من أبنائها هما أشرف ونعمان دفاعًا عن كرامة أمتنا المسلوبة وعن وطننا الحبيب فلسطين، وتعود أصول هذه الأسرة المجاهدة إلى قرية بريكة المنكوبة بقضاء حيفا.

تعلم شهيدنا المجاهد أشرف الابتدائية والإعدادية في مدرسة مخيم نور شمس، ولم يكمل دراسته بسبب اعتقاله من قبل قوات الاحتلال في الانتفاضة الأولى على خلفية انتمائه لحركة الجهاد الإسلامي والمشاركة في نشاطات الحركة ومقاومة الاحتلال حيث قضى في السجن عدة شهور صابرًا محتسبًا.

ومع بداية دخول السلطة الوطنية إلى الضفة الغربية وقطاع غزة على إثر الاتفاقيات التي وقعتها منظمة التحرير الفلسطينية مع الكيان الصهيوني انضم شهيدنا المجاهد أشرف إلى جهاز الشرطة البحرية في مدينة نابلس.

ومع انطلاق شرارة انتفاضة الأقصى المباركة جدد شهيدنا المقاوم أشرف نشاطه في حركة الجهاد الإسلامي والتحق بجناحها العسكري (سرايا القدس) وقد أظهر قدرة فائقة وشجاعة نادرة في مقاومة الاحتلال إلى أن التحق بكوكبة الشهداء الأبرار.

ملامح شخصيته وصفاته

كان الشهيد الفارس أشرف -رحمه الله- أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وآسرهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، ويفوح منه شذا الشباب، يترقرق البشر في وجهه، تراه إن قابل إنسانًا قابله بوجه طلق ونفسية صافية وقلب سليم، وتعطر بأزكى العطور والريحان، كان عطره الطيب يملأ الجو فتسري السعادة في قلوب الناس، وإذا ما تكلم فلا يتكلم إلا كلامًا موجزًا وبألطف العبارات، كما قال القائل: "إذا سكتوا رأيت لهم جمالًا وإن نطقوا سمعت لهم عقولا"، وهو وسيم أنيق، تمتلئ نفسه قوة وأملًا، ظريف في ظاهره، نظيف في باطنه، يتأثر جدًا لرؤيته الفقراء وأرباب البلايا، ومع ما كان عليه من الشفقة والحنان كان على غاية ما يكون من القوة والشجاعة وثبات الجأش، لا يروعه حادث مهما كان عظيمًا، عاش حياته أعزب من دون زواج، ليس عزوفًا عن الزواج، بل فكر كثيرًا في الزواج، لكن شاء القدر أن لا يتزوج بسبب الظروف التي مر بها. كان شديد البأس إذا أُنتهكت محارم الله عز وجل لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لغير ربه. كان رحمه الله يتفقد أصحابه، يسأل عن شأنهم ويحفظ

> **أكثر ما ميزه عن غيره هو عمله السري في سرايا القدس ومهارته العالية في الرماية وقدرته الفائقة على مقاومة الاحتلال نتيجة خبرته التي اكتسبها أثناء عمله في جهاز الشرطة البحرية، وقد أبلى بلاءً حسنًا وشجاعة نادرة قبل أن يرتقي إلى الرفيق الأعلى.**

ودهم، ويعفو عن زلاتهم، مهذبًا في جميع أحواله، وأخلاقه الحسنة كثيرة ومشهورة بين أصحابه ورفقائه.

دور الأسرة في التربية

كانت تربية شهيدنا المجاهد أشرف في البيت تربية سليمة، قويمة حيث حرص والداه على غرس المعاني الأخلاقية، وبث روح الجهاد في نفسه، ولا يستطيع أحد أن ينكر فضلهما الكبير في ذلك وعطاءهما المتواصل حيث ضربا أروع الأمثلة في جودة الصبر، وكان من ثمار هذه التربية القويمة رصيدهما الهائل في التضحية والفداء حيث قدما شهيدين من فلذات كبديهما دفاعًا عن كرامة أمتنا الإسلامية ووطننا الحبيب فلسطين، فقد استشهد ابنهما الأول نعمان -رحمه الله- في سنة 1998م متأثرًا بجروحه التي أصيب بها إثر تعرضه للضرب المبرح على يد قوات الاحتلال في الانتفاضة الأولى، وعانى ما عاناه من جراء ذلك سنوات طويلة، وقابل ذلك بإيمان وصبر وثبات واحتساب.

وفي انتفاضة الأقصى المباركة كان لهذه الأسرة دور بارز وحضور قوي في مقاومة الاحتلال فاستشهد ابنهما الثاني أشرف واعتقل الابن ربيع حيث قضى في السجن أربع سنوات ونصفًا.

ما كانت هذه التضحيات أن تقدم لولا التربية الصالحة والسليمة التي تربوا عليها وتعلموا من خلالها الصفات الحميدة وحب الوطن.

إنني أقبل جبينكم الطاهر وأنحني أمام صمودكم وتضحياتكم وعطائكم المتواصل حبًا واحترامًا وخجلًا منكم. فكفاك فخرًا يا أم الشهداء.

> **من أبرز العمليات الجريئة التي نفذها تفجير عبوة ناسفة على مفرق قرية بزاريا بمحافظة نابلس في جيب عسكري صهيوني بمشاركة الشهيد المجاهد سامح أبو حنيش من قرية بيت دجن بمحافظة نابلس وذلك في مطلع انتفاضة الأقصى المباركة.**

شجاعة نادرة في مقاومة الاحتلال

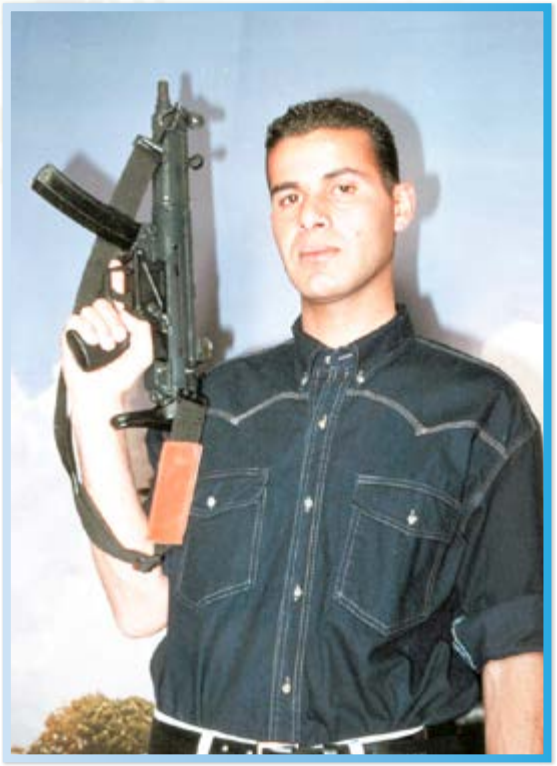

كان شهيدنا المجاهد أشرف فارسًا تتجلى فيه كل صفات الفروسية، وجنديًا متميزًا يتحلى بالضبط المتين، ويؤمن بالطاعة لذوي الأمر، وبنفس الوقت كان قائدًا متميزًا وشجاعًا قادرًا على تحمل المسؤولية.

وإن أكثر ما ميزه عن غيره هو عمله السري في سرايا القدس ومهارته العالية في الرماية وقدرته الفائقة على مقاومة الاحتلال نتيجة خبرته التي اكتسبها أثناء عمله في جهاز الشرطة البحرية، وقد أبلى بلاءً حسنًا وشجاعة نادرة قبل أن يرتقي إلى الرفيق الأعلى.

وأبرز المواقف التي ظهرت فيها شجاعته اعتماده على عنصر المباغتة في مقاومة الاحتلال حيث كان لهذا الأسلوب البارع وقع كبير ومذهل للعدو ونجاح باهر في إيقاع الإصابات المباشرة في صفوفه، ومن أبرز العمليات الجريئة التي نفذها تفجير عبوة ناسفة على مفرق قرية بزاريا بمحافظة نابلس في جيب عسكري صهيوني بمشاركة الشهيد المجاهد سامح أبو حنيش من قرية بيت دجن بمحافظة نابلس وذلك في مطلع انتفاضة الأقصى المباركة. وكذلك مسؤوليته المباشرة عن عبوة ناسفة في مدينة -نتانيا- قام بوضعها الأسيران البطلان بهاء الشبراوي وعبد الرحمن فودة، وهما من مخيم نور شمس، لكن اكتشافها من قبل الاحتلال حال دون انفجارها وذلك في مطلع عام 2001م.

الاستشهاد

أصيب شهيدنا الفارس أشرف بجراح بالغة في شتى أنحاء جسده حيث تركزت معظم الإصابات في منطقة البطن والرجلين وبترت يده اليمنى، وأصيب بحروق وتشوهات في جسده من جراء الشظايا وقوة الانفجار وذلك أثناء أدائه مهمة جهادية عندما كان يقوم بزراعة عبوة ناسفة لتفجيرها في آليات العدو العسكرية وجنوده بمحاذاة مخيم نور شمس، وانفجرت بطريق الخطأ، ونقل على إثرها إلى مستشفى الشهيد ثابت ثابت في طولكرم ليبدأ رحلة معاناة جديدة، لكنه رغم جراحه التي أصيب بها كان يتمتع بكتلة ضخمة وهائلة من المعنويات العالية، يستمد تلك المعنويات من إيمانه العظيم بالله، صابرًا على حرارة الجراح الملتهبة وآلامها، يحس كأنها قطرات ماء باردة وهو في ثبات كالجبال الراسيات، مفوضًا أمره إلى الله ومتوكلًا عليه وراضيًا بصنيعه ومحسنًا ظنه به ومطمئنًا إلى حسن العاقبة، تعالى على الجراح فكان قدوة متميزة في الصبر على المعاناة.

"رغم جراحه التي أصيب بها كان يتمتع بكتلة ضخمة وهائلة من المعنويات العالية، يستمد تلك المعنويات من إيمانه العظيم بالله، صابرًا على حرارة الجراح الملتهبة وآلامها، يحس كأنها قطرات ماء باردة وهو في ثبات كالجبال الراسيات."

كان والداه إلى جواره طيلة الفترة التي مكث فيها في المستشفى والتي تراوحت ما بين ثلاثة إلى أربعة أيام، يجلسان أحيانًا على حافة سريره الذي يرقد عليه، وينظران إليه بحب وحنان جارف ليسانداه في آلامه ويؤازرانه في همومه ويغدقان عليه من رضاهما ويلاطفانه بأحاديثهما الطيبة التي كانت تدخل إلى قلبه الهناء الجم وتجعله ينسى همومه وتهوّن عليه ألم الجراح.

كانـت أمـه تحبـس دموعهـا أمامـه ولا تريـد أن تشـعره بذلـك، وبعدمـا تفارقـه قليـلًا تتدفـق مـن عينيهـا الدمـوع كأنهـا صنبـور مـاء.

في 2001/06/07م انتقلـت روحـه الطاهـرة إلى بارئهـا متأثـرًا بجراحـه التـي أصيـب بهـا لتعانـق روح شـقيقه الشـهيد نعـمان، وليلتحـق بركـب الشـهداء الأبرار.

الشهيد القائد أشرف البردويل برفقة الشهيد القائد في سرايا القدس سامح أبو حنيش

الفارس الثاني

الشهيد القائد: فلاح حسن مشارقة

شيخ المجاهدين

المولد والنشأة

ولد الشهيد القائد **فلاح حسن نعيم مشارقة** في مخيم نور شمس بمحافظة طولكرم بتاريخ 1967/04/24م حيث أبصر نور حين كانت الأمة لم تستوعب بعد سقوط القدس، ينتمي شهيدنا لأسرة كريمة لها تاريخ حافل بالتضحيات، حيث اعتقل ثلاثة من إخوته قضوا فترات متفاوتة في السجن على خلفية مشاركتهم الفاعلة في الانتفاضة الأولى التي تفجرت عام 1987م.

تعود أصول أسرة شهيدنا القائد فلاح إلى قرية (إجزم) المنكوبة بقضاء حيفا، تعلم شهيدنا الابتدائية والإعدادية في مدرسة مخيم نور شمس، ولم يكمل دراسته نتيجة تعرضه للملاحقة والسجن من قبل قوات الاحتلال الصهيوني حيث ظهرت عليه ملامح الرجولة وهو في سن الصبا.

ما أن تفجرت الانتفاضة الأولى حتى انخرط شهيدنا القائد فلاح في صفوف حركة فتح، وشارك بقوة وفاعلية في الانتفاضة إلى أن تم اعتقاله في المرة الأولى في عام 1989م على خلفية انتمائه

للحركة والمشاركة في مقاومة الاحتلال، وحكم عليه بالسجن تسعة أشهر، ولم يثن السجن من عزيمته شيئًا، وما أن قضى فترة حكمه وتم الإفراج عنه حتى واصل مسيرته الجهادية في مقارعة الاحتلال أكثر قوة وفاعلية وانضم إلى مجموعات الفهد الأسود التابعة لحركة فتح، وأصبح من أبرز المطلوبين لقوات الاحتلال حيث قضى تلك الفترة القاسية متنقلًا بين الكهوف والجبال إلى أن تم اعتقاله في المرة الثانية من قبل الاحتلال في عام 1992م وحكم عليه بالسجن عشرين عامًا قضى منها ثلاثة أعوام صابرًا محتسبًا، ضرب فيها أروع الأمثلة في جودة الصبر، وكان في موضع احترام إخوانه الأسرى الذين كانوا يقدرونه لما يتحلى به من أخلاق حميدة.

أفرج عن شهيدنا القائد فلاح ضمن إفراجات اتفاق أوسلو الموقع بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني، ومع اندلاع شرارة انتفاضة الأقصى المباركة أدرك شهيدنا أين يكون مكانه، فانضم إلى صفوف حركة الجهاد الإسلامي وجناحها العسكري في نوفمبر (تشرين الثاني) من عام 2000م، وذلك بعد دراسة فكرية معمقة لمبادئ وأهداف الحركة، وأثبت صدق انتمائه من خلال المشاركة الفاعلة في معظم نشاطات الحركة الدعوية والسياسية والاجتماعية والعسكرية، وكان له أثر كبير في حشد الجماهير وغرس روح الجهاد في نفوسهم حتى أصبح مرة أخرى ضمن قائمة أبرز المطلوبين لقوات الاحتلال إلى أن نال الشهادة بتاريخ 2004/09/22م.

انضم إلى صفوف حركة الجهاد الإسلامي وجناحها العسكري في نوفمبر (تشرين الثاني) من عام 2000م، وذلك بعد دراسة فكرية معمقة لمبادئ وأهداف الحركة، وأثبت صدق انتمائه من خلال المشاركة الفاعلة في معظم نشاطات الحركة الدعوية والسياسية والاجتماعية والعسكرية.

فلاح واللقاء الأول

لقد شممت عبير ذكره قبل أن أعرفه، وقدر الله لي أن أتعرف عليه، وأن أكون من أقرب المقربين إليه، فقد نشأت علاقة بيننا في عام 1998م، وبدا رجلًا وقورًا وهادئًا ارتسمت على وجهه المشع

بنور الإيمان واليقين ابتسامة خجول، وشعرت بصفاء قلبه، فأحسست بالطمأنينة تدب في نفسي شيئًا فشيئًا، وتوثقت الصلات بيننا، فبدأنا حوارًا فكريًا شاملًا حول مبادئ وأهداف حركة الجهاد الإسلامي، وكان مضمون الحوار الذي جرى بيننا يدور حول الإسلام وفلسطين والجهاد، وأنه لابد من وجود حركة جهادية إسلامية تكون قوة تجديد داخل الحركة الإسلامية على الفكر والعمل والأداء داخل فلسطين، وتدعو للجهاد على أرض فلسطين باعتبار فلسطين قضية مركزية، والجهاد لتحرير المركز والقلب هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ويجب تقديم هذه الرؤية للجماهير وإحياء هذه المعاني في نفوس شعبنا من جديد وتوجيه البوصلة التي تؤشر نحو القدس مسرى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ومعراجه، وقد توصلنا إلى نتيجة بأن حركة الجهاد الإسلامي هي الحركة الوحيدة التي تتبنى تلك الرؤية التجديدية، وأن تحرير فلسطين من النهر إلى البحر وإقامة دولة الخلافة الإسلامية وتحقيق الوحدة الإسلامية باعتبارها مطلبًا ربانيًا وتاريخيًا وتعبئة الجماهير فكريًا وإعدادها إسلاميًا وجهاديًا وثوريًا؛ هو من أهم أهدافها. ومنذ ذلك الحين أحسست بحماسة الجهاد تشع من عيني الشهيد القائد فلاح، وكان هذا الحوار بيننا هو العامل الأساسي لانضمامه لحركة الجهاد الإسلامي في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من عام 2000م حيث كانت انتفاضة الأقصى المباركة في أوجها، وتوطدت العلاقة بيننا، ومع مرور الزمن إذا بالأيام تكشف لي بأن أخي الشهيد القائد فلاح يستحق تلك المكانة القوية التي يحتلها في قلبي وقلوب الناس، ويثبت للجميع صدق انتمائه لدينه ووطنه ولحركته المجاهدة حركة الجهاد الإسلامي.

صفاته وشجاعته وصدعه بالحق

كان الشهيد القائد فلاح -رحمه الله- أحسن خلقًا، وأوسع صدرًا، وأكرم نفسًا، وأصفى قلبًا، وأجم تواضعًا، وأنقى سريرة، يوقر الكبير ويتواضع للفقير، رأيت فيه الرحمة والبراءة، يساند الناس في آلامهم ويؤازرهم في همومهم ويشاركهم أفراحهم. دائم البشر، سليم الصدر، بعيد عن العصبية والمكابرة، دمث الخلق، جم التهذيب، سخي اليد، مفعم بالحيوية والنشاط، لا يتوانى لحظة واحدة عن أداء واجبه الديني والوطني والإنساني.

في شخصيته مزيج من الطيبة والبساطة والصراحة، مزيج لطيف قد أضيف إليه ذكاء فطري حاد صقلته السنون، وزادته تجاربها قدرة على فهم الناس والتقاط أحاسيسهم الخفية، لكنه كان مُرهف الحس والتأثر أحيانًا لمجرد زلة لسان بسيطة من أحد إخوانه ورفقاء دربه، رغم ذلك كان سرعان ما يعود إلى هدوء نفسه ويصفح الصفح الجميل.

كان شهيدنا القائد فلاح متزوجًا، ولم يرزق أولادًا، يطمح دائمًا أن يرزقه الله ذرية صالحة يسعد بالعيش معها، وأهله يتطلعون أن يبقى بجوارهم خشية عليه من الاحتلال.

عُهد الشهيد القائد فلاح صادعًا بالحق، شجاعًا، ثابتًا على الموقف المبني على الحق ومتمسكًا بالقيم والمثل العليا، لا يخشى في صدعه بالحق لومة لائم، يرشد الناس إلى طريق الحق والصواب، فيصلح ما فسد، ويقوم ما اعوج، ويكمل ما نقص، ويقوي ما ضعف، وينصر المظلوم، ويردع الظالم، وينشر العدل بين الناس. لقد اجتمعت فيه معان سامية شكلت جوهره النقي، من أجل ذلك كان محاطًا بالحب والاحترام من الناس والقرب من قلوب الخلق، ومما يثير إعجاب الكثير من الناس بهذا الرجل هو التزامه بفكر حركة الجهاد الإسلامي ونهجها، ولا يتقاعس عن أداء واجب، ويتحلى بالضبط المتين ويؤمن بالطاعة لذوي الأمر.

> رغم طيلة سنوات المطاردة والسجن التي لم يعرف فيها طعمًا للراحة إلا أنه استعلى على كل ما يواجهه من معاناة ولوعة الفراق بإيمانه وصبره ورضا بقضاء الله، كان قادرًا على تحمل المسؤولية والأعباء الثقيلة.

مرحلة المطاردة والجهاد

لم يساوره الشك لحظة واحدة بأن طريق الجهاد محفوفة بالمخاطر، ومعبدة بالآلام والمعاناة، ومضرجةً بالدماء خصوصًا في مواجهة عدو لئيم لا يرحم كالعدو الصهيوني المجهز بأعتى آلات القتل والتدمير والبطش والتنكيل؛ لكنها فلسطين التي تستحق منا كل تضحية بالغالي والنفيس، من

أجل ذلك امتشق شهيدنا المقاوم فلاح السلاح والعتاد للدفاع عن فلسطين وعن كرامة أمتنا العربية والإسلامية.

ورغم طيلة سنوات المطاردة والسجن التي لم يعرف فيها طعمًا للراحة إلا أنه استعلى على كل ما يواجهه من معاناة ولوعة الفراق بإيمانه وصبره ورضا بقضاء الله، كان قادرًا على تحمل المسؤولية والأعباء الثقيلة، ومن أبرز المواقف التي تجلت فيها قدرته على تحمل المسؤولية؛ توفير مكان آمن لإيواء الشهيدين البطلين من سرايا القدس (سائد مصيعي ووائل رباح) من قرية (زيتا) بمحافظة طولكرم، اللذين جندهما في صفوف سرايا القدس، واستشهدا على أرض مخيم نور شمس بتاريخ 2004/05/07م في ملحمة بطولية مع قوات الاحتلال استمرت عدة ساعات أوقعا خلالها العديد من الإصابات في صفوف العدو قبل أن ينضما إلى كوكبة الشهداء الأبرار.

> ترجم كلماته التي كان يرددها دومًا إلى أفعال بأنه لن يكون فريسة سهلة للعدو للنيل منه؛ لأن هذا العدو اللئيم والحاقد لا تجدي معه لغة الكلام أو المفاوضات وإنما لغة الرصاص والنار، لذلك أبدى فلاح تصميمه لمقاومتهم حتى نيل الشهادة.

كان الشهيد القائد فلاح -رحمه الله- يؤدي واجبه الديني والوطني اتجاههم رغم الظروف القاسية المحيطة به بسبب ملاحقة الاحتلال له، فيوفر لرفاق دربه ما يلزمهم من السلاح والعتاد ويعتني بهم ويدربهم على الرماية في جبال نور شمس الشامخة بشموخهم، يرسمون معًا خططهم العسكرية للانطلاق من قاعدتهم في مخيم نور شمس لمواجهة العدو الصهيوني ونصب الكمائن له ولقطعان مستوطنيه وزرع العبوات الناسفة وتفجيرها في آليات العدو العسكرية وجنوده، حيث نفذوا معًا عدة عمليات نوعية وجريئة تراوحت بين عمليات إطلاق نار وتفجير للعبوات الناسفة والعودة إلى قواعدهم بسلام، ومن أبرز العمليات التي نفذها الشهيد القائد فلاح أو شارك في تنفيذها:

1. عملية مزدوجة بتفجير عبوة ناسفة وإطلاق نار على قافلة عسكرية صهيونية في قرية باقة الشرقية بمحافظة طولكرم في شهر أبريل (نيسان) من عام 2001م، وتم إصابة القافلة

العسكرية إصابة مباشرة حسب اعتراف العدو، وفرض على إثرها منع التجول على باقة الشرقية لأيام طويلة، وباشرت قوات الاحتلال بحملات تمشيط وتفتيش واسعة بحثًا عن الشهيد المجاهد فلاح ورفاقه الذين نفذوا العملية البطولية والتي جاءت ردًا على اغتيال أحد قادة ومؤسسي سرايا القدس الشهيد القائد إياد الحردان من بلدة عرابة بمحافظة جنين، والذي اغتالته قوات الاحتلال بتفجير عبوة ناسفة وُضعت له في تلفون عمومي بمدينة جنين بتاريخ 2001/04/05م.

2. عملية إطلاق نار في كمين لجيب عسكري صهيوني شرق مستوطنة "بيت جيفر" التي تقع غرب قرية شويكة بمحافظة طولكرم وإصابة الجيب إصابة مباشرة وذلك في عام 2001م.

3. عملية إطلاق نار على اثنين من ضباط المخابرات الصهيونية بالقرب من قرية زيتا بمحافظة طولكرم وإصابتهما بجراح خطيرة، واستشهاد منفذ العملية البطولية الشهيد المجاهد (خالد أبو العز) من قرية زيتا، وذلك بتاريخ 2002/10/30م، وكان الشهيد القائد فلاح العقل المدبر لتلك العملية والذي زود فيها الشهيد الفارس خالد بالسلاح لتنفيذها.

عرس الشهادة

في 2004/09/14م بعد أن خيم الليل البهيم بكل ظلاله السوداء، قطع سكون ليل مخيم نور شمس وقع القنابل وأزيز الرصاص وهدير الطائرات الحربية الصهيونية وهي تحلق في سماء المخيم، وصوت الدبابات يتحرك بها الحديد على الأرض والدوريات العسكرية الصهيونية الراجلة والمحمولة تصحبهم الكلاب البوليسية المدربة تجوب شوارع مخيم نور شمس وتطوقه من كل اتجاه، والقناصة يعتلون أسطح المنازل وهم ينادون بمكبرات الصوت على الشهيد القائد فلاح لتسليم نفسه وإلقاء السلاح وأوصالهم ترتعد رعبًا من هذا الجبل الشامخ والصنديد الذي قض مضاجعهم وزلزل كيانهم وبث الرعب في صدورهم، ذلك الأسد الهصور الذي صنع بمفرده ما عجزت عنه جماعات، لكن شهيدنا القائد فلاح ترجم كلماته التي كان يرددها دومًا إلى أفعال بأنه لن يكون فريسة

سهلة للعدو للنيل منه؛ لأن هذا العدو اللئيم والحاقد لا تجدي معه لغة الكلام أو المفاوضات وإنما لغة الرصاص والنار، لذلك أبدى فلاح تصميمه لمقاومتهم حتى نيل الشهادة، وهيأ نفسه روحيًا ومعنويًا وجسديًا لتلك المعركة الحاسمة، فخاض معهم معركة شرسة أمطرهم من خلالها بوابل من الرصاص، وأثناء الاشتباك أطل عليه أحد كلابهم المسعورة للانقضاض عليه ولتكون شاهدًا على وحشيتهم، وتكشف الوجه القبيح لهذا العدو الغاشم وأساليبه الهمجية في التعامل مع الإنسان الفلسطيني، لكن شهيدنا تجاوز ذلك واستمر في المقاومة.

وبعد ساعات طويلة من الصمود والتحدي والتصدي لآلتهم الهمجية، اخترق رصاصهم المسموم والمتفجر جسده الطاهر فقاموا باعتقاله مثخنًا بالجراح وما زالت روح الحياة تدب فيه، وبعد أيام وبتاريخ 2004/09/22م قاموا بتسليم جسده الطاهر إلى ذويه وآثار التعذيب عليه فقد انتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها والتحق بركب الشهداء الأبرار بعد أن أعدموه بدم بارد ليكون ذلك شاهدًا على حقدهم الدفين الذي كانوا يخبئونه لشهيدنا القائد فلاح مشارقة.

قالوا عن الشهيد

عرفته شهيدًا يمشي على الأرض

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على قائد سرايا المجاهدين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

من الصعب أن تكتب عن إنسان أحببته وعشت برفقته طويلًا خوفًا من الاتهام بالمبالغة، ولكن هذا ليس مع الشهداء الذين امتدحهم الله ورسوله، وامتدحهم التاريخ والحاضر؛ لأنهم بوصلة الأمة نحو المستقبل.

يقول أحد المفكرين الغربيين: "عندما تفقد الأمة القدرة على إنجاب الأبطال المستعدين للتضحية والموت من أجل الأمة يمكن أن تحكم عليها بالموت".

لذلك لا نبالغ عندما نقول إن الشهداء يبعثون روح الحياة في هذه الأمة، وهم الطاقة الكامنة في روحها وضميرها، وكيف إن كان هذا الشهيد صاحب اللحية البيضاء شائب الشعر، مبتسم الوجه، وضاء الجبين، أكبرنا سنًا، وأكثرنا نشاطًا، وأشدنا حبًا للشهادة، ولا زالت كلماته تتردد في أذني: "لو حوصرنا لن نستسلم، سوف نكون شهداء، ولن نذل في السجون تحت رحمة الاحتلال

ولو لم يبق معي إلا رصاصة واحدة لن أسلم نفسي". ربما كان يرى بنور الله؛ لأن هذا ما كان معه، حُوصر لساعاتٍ طويلة وقاتل وحيدًا حتى نفذت ذخيرته، ولم يخرج رافعًا يديه فوق رأسه بل خرج شهيدًا فوق الأكتاف والرؤوس، فحصل ما كان يتمناه ولحق بركب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

إنه الشهيد القائد فلاح مشارقة (أبو النور) عرفته مجاهدًا صلبًا يعشق الجبل والنوم على التراب، أحب الليل والعمل به، لم يفارق قيام الليل يومًا بكل الفترة التي أمضيناها معًا، فلو قُدر

لي أن أراه شهيدًا لأخذت القرآن الكريم الذي كان موجودًا دائمًا في جعبة الذخيرة، وكأنه كان يريد أن يقول إن القرآن الكريم هو كالسلاح لن أتركه إلا لحظة الشهادة. هذا بعض ما رأيت وعشت وتعلمت من شيخنا الشهيد الحبيب فلاح مشارقة (أبو النور) رحمه الله، وأسأل الله أن أكون قد كتبت عن جزء من حياتك وأن يحقق الله ما قضيت من أجله، وترفرف راية الشهداء فوق قباب أقصانا الحبيب إن شاء الله تعالى.

رفيق درب الشهيد القائد فلاح مشارقة

الأسير المجاهد: تميم نعمان سالم من قرية "بزاريا" بمحافظة نابلس

المعتقل في سجن "ريمون" الصحراوي

الفارس الثالث

الشهيد القائد: خالد رايق محمد حسين

رجل في أمة وفرد في جيل

المولد والنشأة

أبصر شهيدنا المجاهد **خالد رايق محمد حسين** النور في مخيم نور شمس بمحافظة طولكرم بتاريخ 1982/11/26م. ينتمي لأسرة فلسطينية محافظة ومتواضعة تعود أصولها إلى قرية (بريكة) المنكوبة في قضاء حيفا.

نشأ شهيدنا القائد خالد في جو إسلامي، تشرب فيه معنى وقيم الإسلام منذ نعومة أظفاره، وتلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي في مدرسة مخيم نور شمس، ثم أكمل دراسته الثانوية في المدرسة الشرعية في طولكرم، وكان من المتفوقين في الدراسة، ومن أوائل الطلبة.

انتمى شهيدنا الفارس خالد إلى صفوف حركة الجهاد الإسلامي وهو فتى في فترة عنفوان الشباب ولما يبلغ من العمر السادسة عشرة إيمانًا منه بمنهج ومبادئ هذه الحركة الربانية المجاهدة وأفكارها النيرة القائمة على مزج فلسطين والمقاومة والنضال بالإسلام قولًا وفعلًا، وإيمانًا منه

بالرؤية التي تحملها الحركة باعتبار فلسطين القضية المركزية في فكرها وضرورة حشد طاقات وجهود الأمة نحوها وتأجيج نار الجهاد ضد الكيان الصهيوني، وإبقاء شعلة الجهاد متقدة حتى تنهض الأمة وتقوم بواجبها تجاه فلسطين وتحررها من النهر إلى البحر، وتتبير العلو والإفساد الصهيوني تتبيرًا، وإزالة وتصفية الكيان الصهيوني وإقامة شرع الله في الأرض. هكذا على أفكار حركة الجهاد الإسلامي تفتحت مدارك شهيدنا البطل خالد، فكان تلميذًا شقاقيًا نجيبًا تشهد له ساحات الاعتقال والأسر بسعة الاطلاع وقوة الحجة والتنظير.

مع انطلاق شرارة انتفاضة الأقصى المباركة، انطلق شهيدنا الفارس كالريح المرسلة في كل نشاط يرى فيه تجسيدًا لمعاني ومبادئ وقيم الجهاد والإسلام، فلم يقتصر نشاطه على شكل جهادي واحد، بل كان نشيطًا شموليًا بكل معنى الكلمة، ففي المجال الدعوي تجده نشيطًا في المسجد، وخارج المسجد حاثًا الشباب على الإسلام وعلى الالتزام به اعتقادًا وسلوكًا، وكذلك في المجالات السياسية والاجتماعية إلى أن تم اعتقاله من قبل قوات الاحتلال الصهيوني في شهر مارس (آذار) من عام 2001م، على خلفية انتمائه لحركة الجهاد الإسلامي ونشاطاته المذكورة، حيث قضى ست سنوات ونصفًا صابرًا محتسبًا في سجني "مجدو والنقب".

انطلق كالريح المرسلة في كل نشاط يرى فيه تجسيدًا لمعاني ومبادئ وقيم الجهاد والإسلام، فلم يقتصر نشاطه على شكل جهادي واحد، بل كان نشيطًا شموليًا بكل معنى الكلمة.

المسجد ودوره في التربية

يعتبر المسجد أعظم مؤسسة من مؤسسات التربية في الإسلام؛ فهو الذي خرّج عمالقة الرجال وعظماء البشر، فخرّج المصلح العظيم أبا بكر الصديق، والزعيم الملهم عمر بن الخطاب، والحيي الكريم عثمان بن عفان، والعبقري الفذ علي بن أبي طالب، والقائد العظيم صلاح الدين

الأيوبي، والمجاهدين العظام على مدار التاريخ الذين زلزلوا عروش الكفر ودكوا صروح الباطل في الإمبراطورية الرومانية والفارسية وكسروا المغول والتتار والصليبيين، وهي المنابع العذبة الصافية التي خرجت الاستشهاديين الأبطال الذين زلزلوا الأرض تحت أقدام الصهاينة المحتلين بعملياتهم النوعية في القدس وحيفا وتل الربيع وأم خالد ومجدو وكركور وغيرها، دفاعًا عن كرامة الأمة الإسلامية وعزّتها. لقد اقتدى شهيدنا الفارس خالد بهؤلاء الرجال العظام ونشأ على التديّن والصلاة، واعتاد على ارتياد المساجد لأداء صلوات الجماعة وهو دون سنّ العاشرة من عمره وحضوره لدروس العلم وحلقات الذّكر متفاعلًا معها. ولم يقتصر دور المسجد على العبادة فكان المسجد نقطة الانطلاق الأساسية لنشاطه الدعوي والفكري والاجتماعي والسياسي والثقافي، فكان يقوم بالاجتماع بالمجاهدين والناس عامة والاهتمام بهم وتفقد أحوالهم وهمومهم ومشاكلهم وتأطيرهم وإعدادهم للجهاد وتهيئتهم لذلك أثناء لقاءاته بهم، كما كان يدعوهم إلى الإيثار والتضحية بما هو عزيز على النفوس في سبيل إسعاد الآخرين من خلال مساعدة الفقراء والمحتاجين واليتامى والاهتمام بعوائل الشهداء والأسرى الذين ضحوا بأرواحهم وزهرات شبابهم من أجل أن تحيا الأمة بعزة وكرامة، وأن ينطلقوا من ذلك المكان الطاهر ليقوموا بجولات على أهالي الشهداء والأسرى والجرحى.

كما كان لشهيدنا البطل خالد نشاطات عديدة ومتنوعة من خلال المسجد، ومن أبزرها أنه جعل من المسجد مدرسة للمعرفة والثقافة، فنشط في المجال الثقافي حيث نشأ على محبة المطالعة والقراءة والتزود من المعرفة والثقافة من خلال مكتبة المسجد المملوءة بالكتب في شتى المجالات العلمية والثقافية والفكرية والأدبية والسياسية وغيرها، وأحيانًا يستعير بعضها لنسخ بعض المواضيع المتعلقة بالجهاد من أجل قراءاتها على مسامع الطلاب من على منصة المدرسة الشرعية في طولكرم التي كان أحد تلاميذها النجباء، وذلك أثناء الفترة الصباحية حيث يخطب بهم بكل جرأة شجاعة، وكانت معظم خطاباته تتركز حول تاريخ اليهود الأسود منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحاضر، ويذكر لهم كثيرًا من القصص والحوادث التي تدل على ذلك ليبث في نفوسهم روح الجهاد ويحرضهم ويشجعهم ويحمسهم لمقارعة الاحتلال، فكان أساتذته ورفاقه التلاميذ يحبونه ويعجبون برجولته وشجاعته وجرأته التي قل نظيرها في مثل سنّه.

ومن أبرز الأعمال أيضًا التي تميز بها في المسجد مشاركته في تأسيس مجلة "الرباط الإسلامية" وهي مجلة إسلامية، سياسية، اجتماعية، ثقافية تشرف عليها الجماعة الإسلامية، وهي الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي وقتئذ وكانت تعلق بالمساجد والمدارس، فكان للشهيد المجاهد خالد دور أساسي في اختيار كثير من مواضيعها، وتقديم المقترحات المتعلقة بها. هكذا كان للمسجد دور هام وأساسي في صقل شخصيته الفذة وغرس المعاني الروحية والأخلاقية في نفسه ومحبة المساكين ونصرة المستضعفين ودفع الظلم عن المظلومين حتى أصبح عنوانًا للأخلاق الإسلامية، ومثالًا كاملًا للمسلم الحقيقي والمجاهد الذي يُحتذى به والذي تذوق حلاوة الإيمان وأشرق وجهه بنور التقوى والإيمان وشع من عينيه وهج غريب تطل منه حماسة الجهاد.

ملامح شخصيته وأوصافه

إن من عرف الشهيد الفارس خالد يحس من اللحظة الأولى التي يبصره بها بالطمأنينة تدب في نفسه شيئًا فشيئا، فقد بهر الجميع بشخصيته الفذة، حتى إنهم لم يروا شخصًا قط فيه مجموع الصفات الكريمة التي كان يتحلى بها إلا قلة قليلة؛ فقد وجدوا فيه إيمانًا راسخا رسوخ الحق، ولسانًا بليغًا فصيحًا، وقد جمع الله في شخصيته الإخلاص الشديد والعقل الرشيد، والعزم القوي، وأخلاقًا محمدية كريمة قلما اجتمعت في أحد، أضف إلى ذلك ذكاءً نافذًا ورزانة في التفكير وبراعة في التنظيم، والحرص الدائم على نشر الدعوة الإسلامية والأهداف التي انطلقت من أجلها حركة الجهاد الإسلامي.

كان الشهيد البار خالد-رحمه الله- موصوفًا بحسن السيرة والمعاشرة، يعامل الناس بالحسنى كبارًا وصغارًا، أغنياء وفقراء، يوقر الكبير ويحترم الصغير، ينتقي الكلام الطيب والتعبير الحسن الذي يكسب به قلوب الناس امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]، كان قرآنا يمشي على الأرض، يتفاعل مع الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بكل يسر وسهولة، مفعمًا بالحيوية والنشاط، كثير الفعل قليل الكلام، لصمته هيبة، لا يتكلم إلا بما فيه خير وفائدة وبما يرضي الله ويخاطب الناس على قدر عقولهم ويقابلهم بوجه طلق وابتسامة مشرقة. لا يلقي اهتمامًا

لبعض الإشاعات المدمرة التي تستهدف المجاهدين وخيرة الناس، فلا يؤمن بكل ما يقال إليه ولا يحكم على الأمور بمجرد السماع أو الشك أو التوهم أو سوء الظن، بل يترك للزمن ليثبت صحة ذلك من كذبه.

الشهيد الفارس خالد من أطيب الناس قلبًا وأصفاهم سريرةً وأحبهم لإخوته وأحنهم على الصغار منهم، وبار بوالديه، ومتأثر بهما بتدينهما وتقواهما واستقامتهما، فلم يكن أقل من والديه تدينًا، واستقامة وتقوى، حيث كان والداه يعدانه ليكون رجلًا عزيزًا مؤمنًا تقيًا وقد تحقق ما كان يصبوان إليه. لقد تجلت فيه الإنسانية الصادقة التي تعطي ولا تأخذ وتؤثر ولا تتأثر وتجود ولا تستجدي، وكان مؤمنًا بأن الجهاد ليس قتالًا فقط وإنما يمر بعدة مراحل من ضمنها التربية الكاملة الشاملة ليصل المجاهد إلى درجة الإحسان فيساعد الفقراء والمحتاجين ويعطف على المساكين ويزور المرضى ويصل الأرحام.

كنت أرى في عينيه شيئًا من الحزن، تلمع عيناه دمعًا عندما يتفقد أحوال المرضى كبارًا وصغارًا، رجالًا ونساءً، أغنياء وفقراء، من يعرفه ومن لا يعرفه منهم، يغمرهم بعطفه وبموجة من

الشهيد القائد خالد حسين برفقة الشهيدين المجاهدين من سرايا القدس محمد ذياب وطارق ملحم في سجن النقب الصحراوي

حنانه المتدفق وبنظراته الصافية الحنون، وكانوا يستمتعون بأحاديثه اللطيفة التي كانت تنساب إلى نفوسهم في رفق، وتمسح آلامهم كالبلسم، ويعاملهم بمنتهى اللطف والمودة ويمطرهم بمزاح جميل، فتتعالى الضحكات البريئة الصافية، ويغمر البِشر قسمات وجوههم، وتبرق السعادة في عيونهم فتمنعهم تلك السعادة أن يفكروا بالألم والحرمان، فينسوا همومهم وأحزانهم، وعندها يشعر الشهيد المجاهد خالد بارتياح بالغ يذهب عنه الضيق والحزن.

إن مكارم أخلاقه متميزة لكل من عرفه وعايشه، ولا يمكن أن تتصوروا مدى إعجابهم بأخلاقهم المحمدية الكريمة، والكلام عن صفاته يطول، وما ذكرته عن صفاته ما هو إلا غيض من فيض وقليل من كثير.

من أجل ذلك استحق مكانته في سرايا القدس، وكان الشرف العظيم لحركة الجهاد الإسلامي أن يكون الشهيد القائد خالد أحد أبنائها، فأي رجل هذا الذي امتلك قلوب الناس بشخصيته الجذابة المحبوبة؟!

> تعرض إلى تحقيق قاس وعنيف استخدمت فيه كافة الأساليب النفسية والجسدية، مستهدفة كسر إرادته وروحه المعنوية لجعله يبوح بأسرار حركة الجهاد الإسلامي والتنظيم للمحققين الصهاينة كي يطعنوا بها ظهور المجاهدين الذين واصلوا درب الجهاد والمقاومة.

مرحلة السجون

بتاريخ 2001/04/08م اعتقلت قوات الاحتلال شهيدنا الفارس خالد في كمين نصبته له على الطريق الواصل بين مدينتي نابلس وطولكرم، وقد كان لهذا الخبر وقع الصاعقة على رفاق دربه لما للشهيد القائد خالد من مكانة قوية ومميزة يحتلها في نفوسهم ولدوره الأساسي والمركزي لكافة الأنشطة والفعاليات الدعوية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتنظيمية التي تقوم بها حركة الجهاد الإسلامي على مستوى محافظة طولكرم الباسلة.

وقد تم نقله إلى مركز تحقيق الجلمة المسماة صهيونيًا "كيشون" سيء الذكر كما هي كافة مراكز التحقيق الصهيونية بسبب تاريخها الأسود وتعاملها الوحشي مع الأسرى من رجال المقاومة الفلسطينية، وقد تعرض شهيدنا البطل إلى تحقيق قاس وعنيف استخدمت فيه كافة الأساليب النفسية والجسدية، مستهدفة كسر إرادته وروحه المعنوية لجعله يبوح بأسرار حركة الجهاد الإسلامي والتنظيم للمحققين الصهاينة كي يطعنوا بها ظهور المجاهدين الذين واصلوا درب الجهاد والمقاومة. واستمر التحقيق معه قرابة الشهرين وهو يواجه بصبره وإيمانه وجسده النحيل سطوة أطقم التحقيق، ولكن أنى لهذا الأسد الهصور أن ينكسر أو يضعف، وأني لهذا الجدار أن ينهار ويكشف ثغرة المسلمين أمام أعدائهم؟!

بعد انتهاء مرحلة التحقيق في زنازين مركز تحقيق الجلمة الواقع بالقرب من مدينة حيفا في أراضينا المحتلة عام 1948م، تم نقل شهيدنا المقدام خالد إلى سجن مجدو بالقرب من مدينة "أم الفحم" "أم النور" الواقعة أيضًا في أراضينا المحتلة عام 1948م. هذا السجن الذي شهد ملحمة بطولية نفذتها سرايا القدس، حيث قام الاستشهادي البطل حمزة السمودي من مدينة جنين بعملية استشهادية جريئة ونوعية تمثلت بتفجير سيارته المفخخة بتاريخ 2002/06/05م في حافلة مليئة بالجنود الصهاينة أدت إلى مصرع سبعة عشر جنديًا صهيونيًا، وإصابة العشرات منهم بجراح متفاوتة، وقد زلزلت هذه العملية الأرض تحت أقدام السجانين الصهاينة الذين كانوا دومًا يتلذذون بتعذيب أسرانا البواسل، وقد جاءت هذه العملية البطولية انتقامًا لشهدائنا الأبرار وانتصارًا للأسرى الذين عانوا عقودًا طويلة من الظلم والاضطهاد والإهانة والإذلال اليومي على أيدي السجانين المجرمين الذين تجردوا من كل القيم الإنسانية والأخلاقية.

بعد رحلة طويلة من التحقيق والمحاكمات الصورية تم الحكم على شهيدنا الفارس خالد بالسجن لمدة ست سنوات ونصف ليبدأ مرحلة جديدة من مراحل حياته الجهادية حاملًا همَّ أمته، مبشرًا بالمشروع الإسلامي المقاوم، رافعًا شعارات هذا المشروع الضارب في تاريخ الأمة الإسلامية (الأسلمة ضد التغريب، والوحدة ضد التجزئة، والجهاد لإزالة هذا الكيان الغاصب)، فكان شعلة جعل من سجنه جامعة مرتكزة على الإيمان والوعي والثورة، هذا حال شهيدنا الذي حاول سجانوه أن يسلبوه حريته، فإذا به يسلب تاريخهم المزور ويحطم أوهام هيكلهم المزعوم. لم يثنِ السجن من

عزيمته، والسبب الذي لم يجعل جو السجن ومرارة المحنة يؤثر عليه هو قوة إيمانه بالله، وحسن يقينه به، وتوكله عليه، ومصاحبته للقرآن الذي أسعد حياته، ويقينه بأن ما يلاقيه هو ضريبة لازمة لمن يسير في طريق الجهاد ومواجهة ذلك بالصبر والاحتساب، فزاد التزامه بإسلامه وأصبحت نفسه تواقة أكثر للقاء العدو.

أدرك شهيدنا الفارس خالد أهمية الوقت في السجن وأن إدراك قيمة الوقت في أحلك الظروف هو من صفات المؤمنين المتقين، فلم يستسلم لليأس والإحباط ولم تتحطم عزيمته وإرادته، ولم ينكمش نشاطه ولم يتعلل بالظروف القاسية التي كان يعيشها، بل كانت حياته في السجن عطاءً متجددًا متواصلًا بلا انقطاع وكان وجوده مؤثرًا ومتميزًا وقويًا في الحركة داخل السجن.

من أهم الأعمال التي تميز بها شهيدنا المجاهد خالد داخل السجن هو القدرة على بناء الرجال وإعدادهم إعدادًا شاملًا ومنظمًا للإيمان والوعي والثورة لإنشاء جيل إسلامي نموذجي قادر على حمل الأمانة ومواجهة التحديات المستقبلية؛ إذ كان هو القدوة لهذا الجيل بسلوكه وكرم أخلاقه وعمق إيمانه فخرّج تلامذة متميزين بإيمانهم وأخلاقهم وصدق انتمائهم للإسلام والجهاد وفلسطين.

ومن الأعمال التي تميز بها أيضًا في السجن، حفظه لكتاب الله تعالى وكثرة كتابته للكتب حتى بات يُشار إليه بالبنان كموسوعة للمعرفة، كما أصبح خطيبًا بارعًا ومحدثًا لبقًا تميز بقدرته الفائقة على إتقان فن الخطابة ببراعة متناهية وتأثير في قلوب الأسرى حيث كان يأسر قلوبهم بكلماته الطيبة في خطب الجمعة والمناسبات الدينية والوطنية، حاثًا رفاقه في الأسر على التمسك بقيم الإسلام العظيم كنظام شامل ومنهاج حياة بوصفه الرافعة الوحيدة والمنبع الوحيد لشحذ الهمم وتوجيه البوصلة نحو الهدف الصحيح، نحو القدس والأقصى.

مرحلة ما بعد السجن، تنسم عبق الحرية أيامًا معدودة

في 2006/11/08م، انقشعت عنه غياهب الظلام التي كانت تخيم عليه في الأسر، وأصبح حرًا طليقًا يتنسم عبق الحرية التي طالما انتظرها سنوات طويلة على أحر من الجمر، وكان نسيم الصباح الكرمي العليل يدغدغ في نفس وروح شهيدنا المقاوم خالد كل معاني الانتماء لهذا الوطن السليب، وهكذا كان لمعاني الانعتاق من أسر يهود الكثير الكثير حتى بات شهيدنا عاشقًا لكل معاني الجمال التي وهبها المولى لجبال وسهول طولكرم التي تطغى عليها صبغة جمالية رائعة، وتزينها أشجار الزيتون والصبار والرمان وشقائق النعمان والبابونج والشومر والزعتر وسنابل القمح البرية ونوار اللوز، تفيض منها نضارةً وحبورًا وشمسًا ساطعة كالنرجس وبياض الغيم.

وحين علمت بتحريره من الأسر غمرتني موجة عارمة من السرور، وكان الفرح يزلزلني، يتفجر في داخلي كالطوفان، يكاد قلبي يقفز من بين أضلعي من شدة فرحتي للإفراج عنه. كنت أفيض شوقًا حارًا للقائه؛ لأنه أقرب من الأخ وأعز من الصديق على نفسي، فكم وددت في تلك اللحظات الجميلة لو أن لي جناحين فأطير فوق جدران السجن البغيض وأرفرف في سماء نور شمس الأبية كي أشارك أخي الشهيد المجاهد خالد فرحته؛ لكنه أبى أن ينعم برغد الحياة، وشذى رائحة الحياة الجميلة بين أهله وأحبائه، ما لم ينعم بها أهل فلسطين ويتحرروا من ظلم الاحتلال، ويعيشوا بأمن وسلام وطمأنينة، ولربما أنساه همَّ هذا المشروع المبارك ما يفكر به أقرانه وأبناء جيله بأن يكون له أسرة وبيت، فلم يكن يخطر ببال شهيدنا البطل خالد أفكار هذه السُنة المباركة وكونها ضرورة لابد منها؛ بل على العكس من ذلك، فقد كانت حياته قد بلورت منذ سنين على الشهادة في سبيل الله.

وهكذا كأسلافه الذين فجروا الانتفاضة بتحرير أنفسهم من سجن غزة المركزي، ولم يلتفتوا إلى رغد الحياة بل مثلهم اعتبر أنها قد جاءت الفرصة التي طالما انتظرها واستعد لها طويلًا للقاء العدو ومواصلة الجهاد ومقارعة المحتلين الذين عاثوا في الأرض فسادًا وأهلكوا الحرث والنسل، فأصبح شهيدنا المقاوم خالد -رحمه الله- مرة أخرى ضمن دائرة الاستهداف الصهيوني يتربصون له في كل مكان وزمان ويتخبطون من الرعب الذي يلاحقهم به.

عبقرية فذة في فن القيادة

شكل الشهيد القائد خالد نموذجًا رائعًا من النماذج النادرة التي أنجبتها حركة الجهاد الإسلامي منذ انطلاقتها، فقد تجلت فيه براعة القائد وحكمة المجاهد وصدق الإيمان والانتماء وحسن الأداء ونجاحه في كسب الأنصار وكفاءته العالية والمتميزة في إدارة الأمور، وقدرته على إعطاء القرارات الصحيحة في اللحظات الحرجة بعد دراسة وتفكير وتأنٍ وتشاور مع أصحاب التجارب والرأي السديد. وتشهد ساحات السجون في مجدو والنقب على كفاءته وبراعته الإدارية والقيادية، حيث عمل لفترات طويلة في الهيئة الإدارية لأسرى حركة الجهاد الإسلامي، وهي الجهة المسئولة عن إدارة الحياة اليومية للأسرى.

بعد خروجه من السجن باشر بإعادة بناء الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي (سرايا القدس) في شمال الضفة الغربية رغم طول الفترة التي قضاها في السجن ورغم قلة الإمكانيات المادية والظروف القاسية التي كانت تمر بها القضية الفلسطينية بشكل عام والمقاومة بشكل خاص، فلم يبحث عن زوجة ولا عن بيت ولا عن عمل، بل كان أشد طمعًا وأبعد بصرًا، فقد طمع بالخلود الأبدي في جنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين.

لقد كان الاحتلال الصهيوني يدرك تمامًا الخطر الذي يشكله الشهيد المقاتل خالد عليه؛ لأنه كان يملك طاقة ضخمة من الحكمة والكياسة ويتحلى بعقلية متزنة وذكاء خارق وعبقرية فذة في فن القيادة وتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه، حيث عرفه

"بعد خروجه من السجن باشر بإعادة بناء الجناح العسكري لحركة الجهاد الإسلامي (سرايا القدس) في شمال الضفة الغربية رغم طول الفترة التي قضاها في السجن ورغم قلة الإمكانيات المادية والظروف القاسية التي كانت تمر بها القضية الفلسطينية بشكل عام والمقاومة بشكل خاص."

الاحتلال لسنوات طويلة في سجونه قياديًا عنيدًا، ومدافعًا شرسًا عن حقوق إخوانه الأسرى.

لقد كانت قناعة شهيدنا الفارس خالد بأنك لن تصبح قياديًا ناجحًا إذا لم تكن جنديًا صالحًا، فهو لا يحجم عن تنفيذ خططه ولا يتردد لحظة واحدة في إتمام كل مهمة تُوكل إليه بإتقان، ولا يتقهقر أمام العدو مهما واجهته المصاعب والمشقات؛ بل يقابل كل ذلك بشجاعة وصبر وحزم وعزم وإقدام. عجبًا لهذا الرجل الفذ فقد صنع بمفرده ما عجزت عنه جماعات.

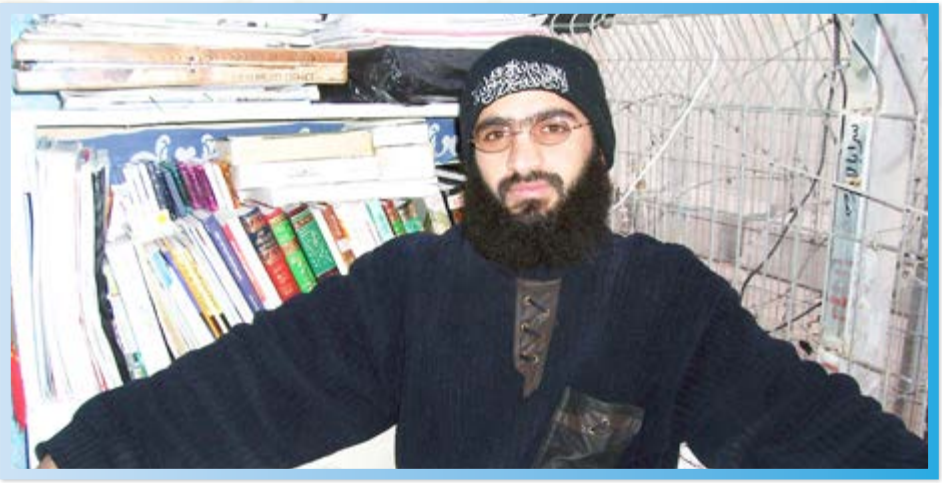

جهاده

الجهاد رسالة ومنهاج حياة شامل، فلم يفرض الجهاد من أجل القتل، بل استجابة لأوامر الله عز وجل لرفع الظلم عن المظلومين، حتى تنعم الأمة بالأمن والسلام والطمأنينة، ويتحقق العدل ويعم الخير أرجاء الأرض المعمورة، لكن مجاهدة الأعداء لابد أن يسبقها عدة مراحل، تبدأ بمجاهدة النفس والشيطان، فإذا ما جاهد نفسه عن المعاصي والذنوب وحالة الترف المبالغ فيه التي يتمتع بها كثير من الناس الذين سيطرت على أنفسهم ظلمات المادة فأنستهم ذكر الله، سيكون فريسة سهلة للعدو للنيل منه وتتقهقر هذه النفس وتهزم أمام أعداء الله مما ينعكس سلبًا على واقع الأمة ويكون محفزًا للعدو للنيل منها.

أدرك شهيدنا البار خالد كل ذلك فبدأ بمجاهدة نفسه عن المعاصي والذنوب، وانتصر وتغلب عليها وعلى وساوس الشيطان من خلال الإكثار من الطاعات من صلاة وصيام وقيام، والمسابقة بفعل الخيرات وترطيب لسانه بذكر الله. فقد ثار وانتفض على نفسه ووساوس الشيطان قبل أن يثور وينتفض على أعداء الله والأمة الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد.

فبعد أن أتم تلك المراحل واجتاز الامتحان الصعب في مجاهدة نفسه والشيطان وتغلب عليها أصبحت حينها نفسه تواقة أكثر لحمل راية الجهاد ولقاء العدو دون أن تفتر له همة أو تلين له عزيمة أو يتقاعس عن أداء واجبه الديني والوطني تجاه أمته وشعبه؛ سائرًا على درب من سبقه من أجلها لإعلاء كلمة الحق، كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتحرير فلسطين من نهرها إلى بحرها وإقامة حكم الله في الأرض.

لقد ضرب شهيدنا البطل خالد أروع الأمثلة في التضحية والفداء، وتميز بعمله النوعي في مقارعة الاحتلال حيث تجلت شجاعته من خلال رصده لأهداف العدو العسكرية وضربها في عمليات فدائية جريئة، ونصب الكمائن لقطعان المستوطنين الذين عاثوا في الأرض فسادًا وأهلكوا الحرث والنسل، **لكننا واجهنا صعوبة في الكتابة عن العمليات التي قام أو شارك بها بالتحديد لأسباب رئيسية من أهمها:**

1. السرية والكتمان اللذان كان يحيط بهما عمله وجهاده.
2. انقسام فترة جهاده إلى مرحلتين، الأولى منذ مطلع انتفاضة الأقصى المباركة، والثانية بعد خروجه من السجن بتاريخ 2006/11/08م.
3. استشهاد معظم رفاقه وتلامذته، وبالتالي اختفاء غالبية المعلومات عنه، وبالأخص فيما يتعلق بجهاده المباشر ضد الاحتلال.

فلهذه الأسباب منفردة أو مجتمعة واجهتنا صعوبة بإحصاء العمليات الجهادية التي نفذها أو اشترك فيها، **فقط سنذكر ما توفر لدينا من شيء يسير من الأعمال الجهادية التي قام بها وهي:**

1. رصده لهدف عسكري في قرية باقة الشرقية في مطلع عام 2001م، أدى فيما بعد إلى تفجير عبوة ناسفة في قافلة عسكرية صهيونية، وإطلاق النار عليها وإصابتها إصابة مباشرة ألحقت أضرارًا مادية جسيمة بها، وقد نُفذت هذه العملية النوعية والجريئة بعد اعتقاله، وقد ذكرت تفاصيلها في مرحلة المطاردة والجهاد للشهيد القائد فلاح مشارقة.

2. اتهامه من قبل العدو بالمسؤولية عن العملية الفدائية التي نفذها الشهيد الفارس محمد عمر ذياب من قرية كفر راعي بمحافظة جنين بتاريخ 2007/07/12م، بإطلاق النار على حاجز مستوطنة عناب المقام شرق طولكرم واستشهد على أثرها الشهيد البطل محمد عمر ذياب.

على موعد مع الشهادة

في الثالث والعشرين من أكتوبر (تشرين أول) لعام 2007م، كان الشهيد القائد خالد على موعد مع قدر الله وعلى موعد مع إكرام الله لعباده الصادقين؛ لأن الجهاد إما نصر أو استشهاد، فمع حلول ظلام الليل الدامس في ذلك اليوم التشريني من الشتاء الفلسطيني وبينما الناس في سُبات عميق بعد كد يوم مضنٍ لتحصيل لقمة العيش بكرامة، شنت قوة صهيونية كبيرة مدججة بأعتى الأسلحة الفتاكة والمدمرة هجومًا مباغتًا على منزل ريفي متواضع في منطقة زراعية في ضاحية صباح الخير على بُعد ثلاثة كيلومترات شمال جنين، وكان يتواجد في هذا المنزل شهيدنا القائد خالد ورفيق دربه الشهيد الفارس محمد جوابرة من قرية كفر راعي بمحافظة جنين، وقد نشأت العلاقة بين الشهيدين أثناء وجودهما في الأسر حيث كانت علاقة مميزة وما أن خرجا من السجن حتى واصلا طريق الجهاد معًا، وسيكون لنا حديث عن سيرة الشهيد المجاهد محمد جوابرة في وقت قريب إن شاء الله. وقد شرعت قوات الاحتلال مدعومة بالدبابات وتساندها طائرات مروحية بتطويق المكان الذي تواجدا فيه والمناداة عليهما بمكبرات الصوت لتسليم أنفسهما وإلقاء السلاح، لكنهما رفضا الاستسلام واختارا طريق الشهادة، وانقضّا على آلة العدو الهمجية وأمطراها بزخات من الرصاص، وخاضا معها معارك ضارية وشرسة استخدمت فيها قوات العدو قذائف المدفعية والرشاشات الثقيلة واستمرت المعركة أربع ساعات رغم عدم التكافؤ بالعدد والعدة، لكنه تقديم الواجب على الإمكان

والثبات على المنهج، منهج المقاومة حتى الطلقة الأخيرة والرمق الأخير، وقد أبليا بلاءً حسنًا وشجاعة نادرة، أذهلا العدو ببسالتهما وأوقعا في صفوفه عدة إصابات حسب اعتراف العدو قبل أن يخترق الرصاص وشظايا القذائف التي أطلقت عليهما جسديهما الطاهرين، ويرتقيا إلى الرفيق الأعلى ليلحقا بركب الأبرار الذين سبقوهم إلى العلا.

استشهد القائد خالد وبقيت ذكراه حية في نفوس من عرفه من بعيد أو قريب أو حتى سمع عن سيرته العطرة، ومن عايشه طيلة سنوات الأسر وخبر معشره الطيب، وبهذه الخاتمة السعيدة لحياة الشهيد المقاوم خالد نعرف فضل الله عليه، حيث منَّ الله عليه بالشهادة واستخلصه لنفسه وخصه بقربه إن شاء الله.

يقول من لم يجرب ما نكابده
كان أجملهم بالموت قد فتنوا
ولو حكى الموت بالفصحى لصاح بنا
كفى ازدحامًا على كفّيّ واتزنوا

(الشاعر/ مريد البرغوثي)

الخاتمة

لقد امتدح الله الشهداء واستخلصهم لنفسه؛ لذلك مهما كتبنا عنهم فلن نفيهم حقهم، وقد فضلت عدم التوسع كثيرًا في الكتابة عنهم حتى لا أتهم بالمبالغة وكي يكون الموضوع صغير الحجم جليل النفع، وليس بالأمر السهل أن تحصل على المعلومات الكافية لكتابة أي موضوع وأنت تقبع بالأسر؛ لأن ذلك يتطلب جهدًا أكبر لجمعها ووقتًا أكثر من شخص يكون خارج الأسر، لولا أنني خضت تجربة مع هؤلاء الشهداء وأهلهم عن قرب على مدار سنوات طويلة وهذا ما سهل عليَّ الكتابة، عدا الظروف الصعبة التي يعشها الأسير الفلسطيني، حيث إنه أمام مرأى السجان على مدار اليوم وكل تصرف يتصرفه، وإمكانياته محدودة وقد تواجهه عقبات كثيرة في كتابة كتاب أو مقال، ويتم مصادرته من قبل إدارة السجن، كما حدث في كثير من الحالات، وتهدف إدارة السجن من خلال ذلك ليس فقط سجن الجسد بل قتل الروح المعنوية للأسير الفلسطيني وتفريغه من محتواه الثقافي والفكري وقتل كل إبداع أدبي يقوم به، لكن بإيماننا العميق بالله وتوكلنا عليه نتغلب على كل العقبات التي تواجهنا بالأسر بالجد والمثابرة حتى لو استغرق كتابة أي موضوع سنوات طويلة ومرات عديدة، فإن سجنوا الجسد فلن يستطيعوا أن يسجنوا الفكر.

لقد حاولت من خلال كتابتي تسليط الضوء على الجانب المشرق من حياة الشهداء بعيدًا عن المبالغة، وهذا لا يعني أنه ليس عندهم مواطن ضعف وإخفاقات؛ لأنهم في النهاية وقبل كل شيء بشر يصيبون ويخطئون، لكن الجانب الإيجابي تغلب على غيره، وواجب علينا أن نذكر فضلهم فهم ضحوا بأغلى ما يملكون من أجل أن تحيا الأمة بكرامة.

فإذا أمعنت النظر عزيزي القارئ خلال حديثي عن صفاتهم وملامح شخصيتهم ستجد أن لديهم اهتمامًا بالمظهر والأناقة وطموحًا إلى الزواج وغير ذلك، وهذه الصفات ليست حرامًا أو نقصًا في شخصيتهم؛ فقد حضّنا عليها ديننا الحنيف، فالله سبحانه وتعالى يصف لنا الحوار الذي جرى بين قارون الذي علا واستكبر في الأرض وبين المؤمنين من قومه حين كان يمتلك خزائن المال،

كانوا يقولون له كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77]، لكن حبك للدنيا يجب أن يكون في حدود الشرع وأن لا تسيطر عليك ظلمات المادة فتنسيك ذكر الله.

أما في الجانب التربوي فإن أعظم مؤسستين أسسهما الرحمن في التربية هي الأسرة والمسجد، فإذا ما أمعنت النظر في سيرة كل شهيد من ناحية البناء التربوي ستجد كل واحد منهم يختلف عن الآخر بالتنشئة، فقد يكون لأحدهم الدور الأساسي في تنشئته إحدى المؤسستين وقد تجتمع الاثنتان معًا، لكن بغض النظر عن تلك الطريقة أو تلك، ما يهمنا هو ثمرة هذه التربية الصالحة التي كان لها الأثر الإيجابي في حياة هؤلاء الشهداء، وفي الجانب الجهادي فقد ركزت على الطابع العام لجهادهم، وذكرت لكل منهم أسلوبه وطريقته في العمل الجهادي، وذكرت الأعمال المؤكدة التي قاموا بها حتى لا أتهم بالمبالغة في ذلك، وهذا لا يعني أنه لا يوجد لهم غيرها، لكن لظروف ما لم أستطع كتابتها، وقد تكشف الأيام عنها مع مرور الزمن، فبعضهم قد ترك سرَّه معه نتيجة الظروف الصعبة التي كانت تحيط به واستشهاد كل رفقائه كحالة شهيدنا القائد خالد حسين (أبو صقر)، وهناك جوانب أخرى ذكرتها تميز بها أحدهم عن غيره، لكن هذا لا يعني أن تلك الجوانب غير متوفرة بالآخر؛ فقد يتميز عنه في جانب آخر.

شهداؤنا كُثر وبحاجة لأن يكتب الجميع عنهم، فهذا تاريخنا يجب أن نحفظه للأجيال القادمة وهذه التجربة يجب أن يكتبها من عاصر الشهداء، وليس المحللين والخبراء ومراكز الأبحاث، فشتان من يدب فوق الثرى وهو في عداد الأموات ومن هو تحت الثرى، ولكنه الحي بآثاره ومعروفه وجهاده، وإني لأرجو من الله أن أكون قد قمت بأداء بعض ما لهم من حق في عنقي وأعناق الأجيال الصاعدة، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم.

وفي نهاية حديثي أرجو من الله عز وجل أن نوفق في تأصيل وتوثيق حياة كل أولئك الشهداء على مختلف انتماءاتهم لتتناقلها الأجيال القادمة في مساهمة منا جميعًا لتشكيل العقل المقاوم لديها، وترسيخ مفاهيم الصراع العقائدي بين مطلق الحق ومطلق الباطل والله المستعان، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أخوكم الأسير/ أنور عمر عليان
سجن "ريمون" الصحراوي

الفهرس

- الإهداء 5
- مقدمة الناشر 7
- المقدمة 9
- مخيم نور شمس، تاريخه ودوره الجهادي 11
- الفارس الأول: الشهيد القائد (أشرف محمود البردويل) 16
- الفارس الثاني: الشهيد القائد (فلاح حسن مشارقة) 22
- الفارس الثالث: الشهيد القائد (خالد رايق محمد حسين) 30
- الخاتمة 45

11 رجال في زمن العزة

تعريف بالكاتب

الأسير المجاهد: أنور عمر حمدان عليان

- من مواليد مخيم نور شمس بمحافظة طولكرم بتاريخ 1976/12/27م.
- تعود أصول عائلته إلى قرية (أم الزينات) من قضاء حيفا التي هُجّرت منها قهرًا وقسرًا في نكبة العام 1948م.
- شقيقه الاستشهادي أحمد عمر عليان والذي نفذ عملية استشهادية في مدينة (أم خالد) المحتلة بتاريخ 2001/03/04م أسفرت عن مقتل وإصابة العشرات من الصهاينة وعلى أثر ذلك تم هدم منزل الأسرة.
- قضى عامين مطاردًا للاحتلال خلال انتفاضة الأقصى، واعتقل أكثر من مرة لعدة شهور بشكل متقطع في سجون السلطة الفلسطينية على خلفية مقاومته للاحتلال الصهيوني.
- متزوج من الأخت المجاهدة (آمنة عوني عبد الغني) من بلدة صيدا بمحافظة طولكرم وهي شقيقة الشهيدين القائدين في سرايا القدس هما أنور وشفيق عبد الغني.
- رزقه الله توأمًا من الذكور (عمر، عادل) في العام 2014م وذلك عن طريق النطف المهربة من داخل سجون الاحتلال الصهيوني.
- تعرض لأكثر من محاولة اغتيال من قوات الاحتلال واعتقل بتاريخ 2003/04/04م في عملية عسكرية واسعة بمحافظة طولكرم وذلك بعد إصابته إصابات بالغة في اشتباك مسلح مع قوات الاحتلال.
- أصدرت قوات الاحتلال الصهيوني حكمًا جائرًا عليه لمدة 23 عامًا على خلفية نشاطه وقيادته في سرايا القدس بمحافظة طولكرم ووقوفه خلف عمليات جهادية بطولية.
- حصل على الثانوية العامة داخل قلاع الأسر، ويكمل دراسته الجامعية حاليًا، واجتاز عدة دورات ثقافية متقدمة في السجن منها علم النحو وفن الخطابة في اللغة العربية وإتقان اللغة العبرية قراءة وكتابة.

دار الشهيد نعمان طحاينة للنشر والتوزيع
Email: Dar.Nomaan@Gmail.com